

الترجمة وحوار الثقافات

الطالبة: لواتي فاطمة

إشراف أ.د/غيتري سيدي محمد

جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان(الجزائر)

ملخص:

ترتكز هذه المقالة على دور الترجمة في الحفاظ على الحوار بين اللغات و الثقافات. الاتصال هو قبل كل شيء نقل. الترجمة هي وسيلة لإيجاد حلول عملية للشعوب التي لديها تاريخ و تقاليد و قيم و معتقدات وثقافات مختلفة حتى تتواصل فيما بينها و تتفاهم وتثري بعضها لبعض، من اجل فضول أفضل. هي انفتاح على الآخر و بعبارة أخرى تعمل على أن تكون هناك ثورة فكرية وروحية حقيقية.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، الثقافة، الحوار الثقافي، اللغات.

Résumé: Cet article porte sur le rôle de la traduction dans le maintien d'un dialogue entre les langues et les cultures. Transmettre c'est d'abord traduire.

La traduction constitue un moyen pour trouver des solutions concrètes, pour que des hommes qui ont une histoire, des traditions, des valeurs, des croyances, des cultures différentes se parlent, se comprennent s'enrichissent mutuellement, pour que naisse une véritable curiosité, une ouverture d'esprit à l'égard de l'Autre, en d'autres termes pour que s'opère une véritable révolution intellectuelle et spirituelle.

Mots-clés: la traduction, la culture, le dialogue culturel, les langues.

مقدمة: الترجمة ثقافة وحضارة وتواصل على ما أنجزته الشعوب في سبيل تقدم الإنسانية. فهي وسيلة فعالة تمثل صلة مباشرة بين الحضارات في جميع المجالات، وأداة تعبير عن قوة المجتمع في استيعاب هذه المعارف، وهي سبيل لا غنى عنه في سبيل نشر الثقافة. لقد كانت من أهم وسائل الانتقال الفكري والمعربي بين مختلف شعوب العالم على مر العصور. وكان من أهم أسباب تقدم العرب، وتطورهم في عهد الإمبراطورية العربية الإسلامية، قيامهم بالتعرف إلى ثقافات الشعوب التي سبقتهم، وذلك بواسطة الترجمة. أما الحضارة الإسلامية في الأندلس فقد كانت أهم موروث أخذته الأوروبيون عندما أقبلوا عليها بالترجمة والنقل، وصارت فيما بعد دافعا لهم ليعكفوا على دراسة لغات الشرق وتاريخه وآدابه ودينه في الحركة الواسعة التي عرفت بالاستشراق. ولم يتوقف دور الترجمة على مجرد النقل من لسان إلى آخر، بل تَبَعَتْهَا حركة النهضة التي نعيش جميعا في ظلها اليوم من أدنى الأرض إلى أقصاها.

I- تعريف الترجمة: إن الترجمة مشتقة من فعل "ترجم"، وعلى نحو ما جاء في لسان العرب، يقال: "ترجم كلامه بمعنى فسره بلسان آخر"¹. وأما في معجم المنجد، فهي تحليل على "نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى، وعلى التأويل والتفسير والشرح"². والترجمة اصطلاحاً هي "نقل الألفاظ والمعاني والأساليب من لغة إلى أخرى مع المحافظة على التكافؤ"³. ومن هذه المنطلقات، يمكن أن نتصور الترجمة على أنها عملية يتم بها نقل المعنى المراد ترجمته من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، بشرط التحكم في كليهما واحترام نظام اللغة الهدف وإدراك ثقافتهما، بحيث لا يمكن فهم النص المراد ترجمته إلا باستحضار الجو الثقافي الذي ظهر فيه.

وقد نالت الترجمة اهتمام العرب ولاسيما في القرون الأولى للهجرة، فبرزت بيت الحكمة، وهو عبارة عن مكتبة كبرى توفر جميع الأدوات الضرورية للمترجم في ذلك الزمان وكذلك مدرسة بغداد التي تعد أكبر مركز للترجمة. وبفضل تشجيع أهم الخلفاء الإسلاميين على الترجمة، تمت ترجمة عدة كتب علمية وفلسفية وفارسية وهندية إلى العربية.

II- دور الترجمة: إن للترجمة دوراً كبيراً في تسيير التنمية البشرية، كالتبادل التجاري، وإشاعة المعرفة العلمية، ونقل التكنولوجيا وغيرها من العمليات الضرورية، للاستفادة من علوم الآخر وتقنياته في تحقيق التنمية الهادفة إلى ترقية حياة الإنسان، فهي إذاً أداة للتنمية. وللترجمة في هذا السياق دور ثلاثي الأبعاد: لغوي، ومعرفي وفكري، وهي أبعاد مترابطة في حلقة متسلسلة متكاملة يؤدي احدها إلى الآخر في علاقة خطية دائرية. أما دور الترجمة اللغوي، فلا ينحصر في إيجاد مقابلات عربية لمصطلحات علمية جديدة، بل يتعداه إلى التأثير في تطوير اللغة دلاليًا وتركيبياً، وقد أفردت بحوثاً ودراسات عدة لهذا الأثر، وما زال الأمر يستحق المزيد، نظراً للأهمية البالغة في عملية التطور اللغوي. وأما دورها المعرفي، فيتجلى في نقل المعارف ونتائج الفكر العلمي والأدبي والثقافي عند اللغات والحضارات الأخرى، وهذا يقتضي التعريف بالمفاهيم والرؤى الجديدة، وذكر دلالاتها المعاصرة بدقة، وشرحها دون لبس ضمن سياقها النصي وسياقها الفكري العام. ولا تستقيم الترجمة أهميتها من كونها تأتي بمصطلحات جديدة في شتى حقول العلم والمعرفة، وإنما لكونها ناقلة للمفاهيم عن طريق شرح دلالات تلك المصطلحات وإدراج مدلولاتها في المنظومة الفكرية العربية. فاستيعاب المصطلحات وتراكيب اصطلاحية جديدة، وإيجاد مقابلات عربية لها وشرح دلالاتها وتيسير تداولها يؤدي إلى ردد الفكر العربي بمفاهيم محدثة وممارسات جديدة كانت غائبة أو مغيبة، وتوجيهه للعمل وفق منهجية محددة، ومن ثم خلق واقع فكري وسلوكي جديد ينهض بالحاضر ويؤسس للمستقبل⁴.

III-هدف الترجمة: الترجمة عملية نقل رسالة من لغة إلى أخرى، ومن ثقافة إلى أخرى، وتعبير آخر، فهي تعني نقل المعنى من النص المنطلق إلى النص الهدف، وتحويل علامات اللغة الأولى إلى علامات اللغة الثانية، ويقوم المترجم بتفكيك الشفرة اللسانية بعد أن تكون مشفرة في لغة أخرى، ويتضمن النص المترجم مجموعة من العلامات السيميائية كالعلامات المنطقية، والعلامات الاجتماعية، والعلامات الجمالية، والعلامات اللسانية. ومن ثم، فالهدف الرئيس لمترجمها هو الوصول إلى ترجمة صادقة ووفية وقريبة من معاني النص الأصلي⁵.

IV- الترجمة عند العرب: إن الترجمة إلى العربية تشاط قديم، إذ عرفها العرب في جاهليتهم بفعل احتكاكهم بالأمم الأخرى، وفي صدر الإسلام برزت باعتبارها حاجة دينية وسياسية. وكان السريانيون قبل مجيء الإسلام وبعده قد تعهدوا أخذ الثقافة في المراكز الثقافية، وفي العديد من الأديرة والمكاتب الصغيرة المنتشرة في بلاد الشام، ويتمثل دورهم بمساهمتهم في نقل الثقافة اليونانية التي فقد أصلها. ولما جاء المسلمون اعتمدوا على ترجماتهم السريانية. وقد ساهم بعض السريان بنقلها إلى العربية، بدءاً من العصر الأموي، كما ترجم السريان بعض الكتب الفارسية⁶.

فمن السريان نقلت أشعار للسعدي والحيام والفردوسي وحافظ الشيرازي، كما عرفت المهاتمات الهندية وبعض أعمال طاغور وإقبال، وبعض الأدب الصيني طريقها إلى المثقف المصري والعربي بعامه، وقد حظيت الرباعيات بعناية خاصة. ففي مصر ترجمها محمد السباعي نظماً، وكذلك فعل كل من أحمد رامي وأحمد زكي أبو شادي، وقد نظمها الأول عن الإنجليزية ونظمها الآخرون عن الفارسية مع اطلاعهم على ترجمتها في الإنجليزية عند فيتزجيرالد⁷.

وقد قامت الترجمات الأولى إلى العربية على أكتاف المترجمين السريان، الذين كان وراءهم تراث تليد في هذا المضمار يرجع إلى عهد الوثنية (بلومشارك 12:1921-12 عن عياد[1993]:196). فقد انتهوا من ترجمة الأناجيل الأربعة إلى السريانية إبان النصف الأول من القرن الثامن ميلادي(بروكلمان 1909: 7-8 عن عياد[1993]: 166)، وأضافوا وراجعوا واستكملوا الشروح والحواشي في تلك الترجمة حتى القرن السابع ميلادي. وهكذا عنيت جماعة نصرانية بالفلسفة الإغريقية (و خاصة بأرسطو)، فشرعت في ترجمتها إلى السريانية، وهما في ذلك نشر المسيحية في بلاد ما بين النهرين، وكان لتلك الترجمات أثر جيد على لغتهم، إلى أن أدخل كثير من المفردات وتراكيبها وأساليب تعبيرها (عياد [1993]: 166-167)⁸.

وتنقل الأخبار معرفة بعض العرب بلغات جيرانهم، والتي كانوا على صلة بها. ومن ذلك ما روي عن امرئ القيس ونزوله على قيصر ملك الفرس، طالبا النصر لاسترجاع ملك أبيه، وكذلك ما

روي عن أمية بن أبي الصلت الذي كان يحكي في شعره قصص الأنبياء ويقرأ الكتب المتقدمة بألفاظ كثيرة لا تعرفها العرب. وقد جاء في السيرة النبوية أن الرسول -صلى الله عليه و سلم- أمر زيد بن ثابت بتعلم العبرانية والسريانية، فتعلمها ليكتب لليهود بلغتهم. وذكر الفيروز أبادي أن أبا النحوي بكر الدهان كان يتكلم بالفارسية، والرومية، والتركية، والزنجية والحبشية بأفصح الكلام⁹. وفي واقع الأمر أن الترجمة المنظمة كانت مع بداية ظهور الدولة الأموية عند الأمير خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، حيث تشير المصادر أنه كان أول من تمت على يده عملية النقل، فقد قام بترجمة كتب الطب والكيمياء. وقد كان الباعث على ظهور الترجمة في ذلك العصر عدة أمور منها:¹⁰

أ- احتكاك العرب بغيرهم من الأمم. فقد اطلع العرب على ثقافات جديدة، فأحبوا أن يوسعوا بهذه الثقافات آفاقهم الفكرية.

ب- حاجة العرب إلى علوم ليست عندهم مما كانوا يحتاجون إليه في الطب، وفي معرفة الحساب والتوقيت لضبط أوقات الصلاة وتعيين أشهر الصوم والحج وأول السنة.

ج- رعاية الخلفاء للنقل والنقلة، فقد شجعوا عملية الترجمة وأولوها اهتماما كبيرا، فعربت الدواوين زمن عبد الملك بن مروان، وكان أول ديوان نقل للعربية ديوان الشام.¹¹

ومن أشهر المترجمين ماسرجوية، واصططن القديم، وسليمان بن سعد، ويظهر لنا أن حركة النقل والترجمة في العصر الأموي لم تكن واسعة، فقد كان يقوم بها بعض الأفراد من الخاصة أو بعض الأطباء من الأعاجم الذين وجدوا أنفسهم في محيط عزلي لا تصلح فيه إلا البضاعة العربية أو المعربة، إلا أن هذا العصر يعد النواة التي ساعدت على التوسع في حركة الترجمة في العصر العباسي.

ومن أهم ما ترجم:

1- علم الفلك: تطور علم الفلك في العصر الأموي وفي الشام بالتحديد ويرجع السبب في ذلك هو انفتاح المسلمين على علوم الأمم الأخرى و حضاراتها ونقل العديد من الكتب الفلكية إلى العربية، فأول كتاب ترجم في علم الفلك كان في العصر الأموي قبل زوال الدولة الأموية بسبع سنين وهو كتاب (عرض مفتاح النجوم) إلا أن بعض الروايات تفيد أن أول من ترجم كتب النجوم هو خالد بن يزيد، وأول مرصد أقيم في العالم الإسلامي كان في عصر بني أمية، وكان ذلك في دمشق.

2- علم الكلام: لم يظهر في الشام إلا في نهاية العصر الأموي، ويعود السبب في نشأته إلى عدة أسباب منها:

أ-احتكاك المسلمين بغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى: فقد كان في الشام نصارى كثيرون احتفظوا بدينهم، ودخل كثير منهم في الإسلام، وكان من هؤلاء مثقفون بالثقافة النصرانية، وقامت المساجد بجانب الكنائس ، فسرعان ما كان الاحتكاك بين الإسلام والنصرانية وكان بينهما جدل وحوار وخصومة.

ب-الخلاف السياسي: تأثر علم الكلام بالنزاع السياسي القائم في ذلك العصر، وإن ابرز مسألة سياسية ذات خطر نشأ حولها الخلاف بين المسلمين هي مسألة الإمامة أو الخلافة.

ج-حركة الترجمة: تعتبر الترجمة من أهم العوامل التي ساعدت على تطور هذا العلم وانتشاره، فقد أدى اطلاع المتكلمين من المسلمين على المنطق اليوناني والفلسفة اليونانية، إثر نقلها إلى العربية، إلى التأثير ببعض أفكارهم ومبادئهم. ويعتبر خالد بن يزيد هو أول من ترجم في هذا المجال.

أما كتب الدواوين في زمن الدولة الأموية، فقد نقلت من اليونانية إلى العربية، أيام الخليفة عبد الملك بن مروان في سورية، ومن الفارسية إلى العربية في العراق على يد الحجاج بن يوسف الثقفي. وكذلك تمت في مصر ترجمة العديد من الكتب القبطية إلى العربية في عهد عبد العزيز بن عبد الملك، وهنا لا بد أن نتوقف أمام اثنين من خلفاء العصر الأموي وهم:

- خالد بن يزيد بن معاوية الملقب بحكيم آل مروان: أرسل إلى الإسكندرية في طلب بعض الكتب في الطب والكيمياء لترجم إلى العربية. ويقول عنه ابن النديم في كتاب "الفهرست": إن خالداً كان يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه وله محبة في العلوم، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان الذي نزلوا مصر، وتفصحو بالعربية وكان هذا أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة. وقال عنه الجاحظ: إنه كان أول من أعطى الترجمة والفلاسفة وقرب أهل الحكمة ورؤساء كل صنعة.

- عمر بن عبد العزيز سار على درب خالد بن يزيد، واصطحب معه عند انتقاله إلى المدينة احد علماء مدرسة الإسكندرية بعد أن اسلم على يده. ونقل علماء مدرسة الإسكندرية إلى مدرسة أنطاكية سنة 100 هـ. والحق أن الانطلاقة الفعلية لحركة الترجمة كانت بوصول العباسيين إلى السلطة وبنائهم مدينة بغداد، حيث ازدهرت الترجمة ازدهاراً عظيماً. هذا وقد انقسم عهد الترجمة في العهد العباسي إلى دورين رئيسيين يمتد الأول من قيام الدولة العباسية إلى بداية عهد المأمون(132هـ. 750م-198هـ، 814م) والثاني يبدأ بتوالي المأمون الحكم ويمتد طيلة عهده. (198هـ، 814م-833هـ، 218م)¹²

وفي عام 145 هـ أسس أبو جعفر ثاني خلفاء الدولة العباسية، مدينة بغداد، وجعلها عاصمة الدولة العباسية بدلا من دمشق، فسرعان ما ازدهرت وطمغى نورها الفكري على نور البصرة والكوفة، كما تقدمت على دمشق. وهو أول من راسل ملك الروم طالبا منه كتب-الحكمة- فبعث إليه كتاب إقليدس وبعض الكتب الأخرى، وجمع حوله صفوة من العلماء يتقنون اللغات الأجنبية، وشجعهم على ترجمة الكتب العلمية المنتقاة، وأنشأ في سبيل ذلك ديوانا للترجمة، وسعه فيما بعد الخليفة هارون الرشيد(170-193) ليهتم بترجمة الكتب الأجنبية. ومن أشهر الكتب التي ترجمت في عهد الرشيد كتاب المحسني لبطليموس الذي معناه "الترتيب الكبير في علم الفلك"، كما أمر الرشيد بتعريب الكتب التي وجدها في أنقرة وعمورية أثناء غزواته (الصوائف). وأنشأ المأمون في بغداد -بيت الحكمة- الذي كان يحوي المجمع العلمي ومرصداً فلكياً، ومكتبة عامة وكذلك أقام فيها طائفة من المترجمين الذين أعاد عليهم بالعطايا من بيت المال. لقد كانت الأندلس موطننا للنقل والترجمة العلمية أو الثقافية إلى العربية بعد بغداد، قبل أن تصبح موطن الكشف والإبداع في ميادين الآداب والعلوم والفنون.

وقد تجلّت حركة الترجمة في أبعي صورها في العصر العباسي، وما كانت لتكون بهذا الزخم والاندفاع لولا رعاية النخب الحاكمة لها، فقد كان هذا الأمر في البدايات الأولى لخلفاء بني العباس إلى جانب رجال الدولة، ثم انطلقت النخب الأخرى في المجتمع لتصبح حركة اجتماعية قدر لها أن تستمر ما يقارب قرنين من الزمان مؤثرة في المجتمع تأثيراً عميقاً. ومن ابرز شخصيات العصر العباسي في الترجمة، الجاحظ، فقد مثل ثقافته أحسن تمثيل، وكان مطلعاً على ما ترجم إلى العربية من ثقافات الفارسية والهندية. فقد كان الجاحظ يقرأ للعلماء الأجانب كأرسطو، ومعلمه أفلاطون وأبقراط وبطليموس وجالينوس حيث ورد ذكرهم في كثير من مواضع كتابه "الحيوان".

(٧)- الترجمة عند العرب: يعود عهد الترجمة عند الغرب إلى أيام الإمبراطورية الرومانية الإغريقية، إذ انكب المترجمون يومئذ على نقل التوراة والإنجيل وتباينت ترجماتهم وتفاوتت حرفيتها والتصرف فيها.¹³ وقد برز كثير من المترجمين الغربيين في العصور القديمة والحديثة، ولعل أبرزهم هو الخطيب الروماني شيشرون(106-43 ق م) الذي تنسب إليه أقدم مدرسة من مدارس الترجمة، والقائمة على حرية النقل، مع التمسك بالقيم البلاغية والجمالية في التعبير.

وهناك أيضاً جيروم سافرونيك(340-430) الذي اشتهر بترجمة الإنجيل من اللغة الإغريقية إلى اللغة اللاتينية، وكان أول من طرح فكرة الفصل بين ترجمة النصوص الدينية والنصوص الدنيوية، وأوضح أن الترجمة السليمة إنما تعتمد على فهم المترجم للنص الأصلي وقدرته على استخدام

أدوات لغته الأم، أو اللغة التي يترجم إليها. وهناك أيضا الايطالي ليوناردو أرتينو(1374-1444) الذي ركز على ضرورة نقل خصائص النص الأصلي نقلا تاما والتلازم بين اللفظ والمضمون، مشيرا إلى أنه إذا ما كان المضمون يشير إلى المعنى، فإن اللفظ يشير إلى البلاغة في النص. ثم جاء بعده جاء إتيان دوليير(1509-1586) بمنهجه الذي عرف بالمنهج التصحيحي في الترجمة ناديا بضرورة أن يفهم المترجم محتوى النص الأصلي جيدا، وأن يدرك قصد المؤلف من النص وهدفه.

وقد كان الأوروبيون لا يعرفون إلا الشيء القليل عن فنون اليونان ومعارفهم، ثم تعرفوا إلى ثقافة الإغريق وعلومهم عن طريق الترجمات.¹⁴ كما اهتم الأوروبيون بالحضارة العربية الإسلامية عند احتكاكهم بالأندلسيين. وفي القرن الحادي عشر ميلادي، عكف علماء النصارى على ترجمة علوم العرب وفنوتهم، وتحمسوا كثيرا إلى هذه الترجمة خاصة لما علموا أن العرب قد ترجموا أغلب مؤلفات اليونان ونهلوا من فكرهم، ولقيت هذه الترجمات ترحابا كثيرا لدى ملوك النصارى، وقد انتشرت في كامل أرجاء أوروبا على الرغم من تحفظ بعض الكنيستيين المتشدددين¹⁵. ومعلوم أن طلبة العلم توافدوا على المدن الأندلسية من كل أنحاء أوروبا، ولا سيما من شمال اسبانيا وفرنسا وإيطاليا وإنكلترا وألمانيا، لتلقي العلم والشؤون العربية الإسلامية. قد كان هؤلاء الطلاب الذين تتلمذوا على شيوخ المسلمين في الأندلس، الحجر الأساس في بعث حركة الترجمة في أوروبا. وقد أنشأت فيها مدارس للترجمة وظف فيها مترجمون من كافة أنحاء أوروبا ونصارى من المشرق، كما استعانوا بالمسلمين المحترفين واستخدموا الأسرى والجواري.

هذا بصفة عامة وموجزة كل ما يتعلق بالترجمة تعريفها، ودورها وهدفها ونبذة تاريخية عنها. وبما أن المحور يتناول الترجمة وحوار الثقافات كان الأجدر بنا كذلك التطرق إلى عالم الثقافة.

VI- تعريف الثقافة: يعرف تايلور(Taylor.B.E) الثقافة بقوله: "إنها ذلك المجموع المعقد الذي يضم المعارف، والمعتقدات، والفنون، والعادات، والقوانين، والأعراف، وكل تلك القدرات الأخرى، والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا من أعضاء المجتمع".¹⁶ أما من المنظور البنيوي، فإن الثقافة أياً كانت، تحدد كما يقول كلود ليفي ستروس(Levi-Strauss)- بأنها "مجموع أنظمة رمزية تقع في المرتبة الأولى فيه اللغة، وقواعد الزواج، والعلاقات الاقتصادية، والفنون، والعلوم، والدين. وتهدف كل هذه الأنظمة إلى التعبير عن بعض جوانب الواقع المادي والواقع الاجتماعي، بل وكذلك عن العلاقات التي توجد بين هذين النمطين من الواقع، والتي توجد بين الأنظمة الرمزية فيما بينها".¹⁷

VI)- الحوار الثقافي عن طريق الترجمة و دوره : إن الحوار بين البشر قدس قدم وجود البشر على وجه الأرض، وكثيرا ما قاد إلى المعرفة والتواصل مع الآخر وحل الخلافات والنزاعات القائمة. فإذا أردنا أن نعرف الحوار، فهو مراجعة الكلام في شأن ما، أو رأي ما، لتعزيزه و تطويره والوصول به إلى التماثل والتجانس والتكامل... وما يفيد أنه نظام لغوي للتخاطب بين المتحاورين، رسالة ذات مضمون وطني وقومي وإنساني، رسالة مشتركة لتلقي المكونات الثقافية والحضارية وتبتعد عن التقويل والتحريف والتلفيق. وليكون هناك حوار مع الآخر المختلف عنه لغويا وثقافيا ودينيا، فلا بد أن تكون هناك ترجمة أو ترجمات مفيدة وفاعلة ووفية، رغبة من الشعوب للتعريف بأنفسها وثقافتها ودينها سعيا وراء الحوار الجاد. وإنما اليوم بحاجة ملحة للتعرف إلى الآخر، وفهم آليات تصوره للشخصية العربية. كما أننا والقدر نفسه من الضرورة بحاجة إلى فهمنا الآخر فهما عميقا، لننقل إليه فكرنا وأدبنا، وأسس ديننا وعقائدنا التي لا تجعلنا نبدو خارج سياق العصر، بل جزءا أساسيا منه. فالترجمة هي جسر للاتصال الوثيق بيننا وبين الآخر.

ويقصد بحوار الثقافات في الكتاب الأبيض الأوروبي، عملية تبادل وجهات النظر بشكل متفتح ومحترم ما بين أشخاص ومجموعات ذات أصول وتقاليد إثنية وثقافية ودينية ولغوية مختلفة، في إطار روح التفاهم والاحترام المتبادلين. ومن بين العناصر الأساسية في هذه العملية، هناك الحرية والقدرة على التعبير فضلا عن الإرادة وملكة الإنصات إلى الآخرين.¹⁸

VIII)- الترجمة ودورها في تعليم اللغات الأجنبية: إن تاريخ البشرية شاهد على المدى الذي وصلت إليه العلاقات بين الشعوب سواء في التجارة أو الثقافة أو العلوم أو حتى في الحرب من خلال المراسلات. ويتحقق هذا التواصل عندما يكون المتخاطبان يتقنان لغة كليهما. ولما كانت الحاجة إلى تعلم اللغات الأجنبية قديمة قدم التاريخ البشري نفسه، فقد سعى المدرسون والباحثون في اللسانيات التطبيقية للإتيان بالجديد في هذا الميدان. وقد بدأ البحث في ميدان تعليم اللغات الأجنبية في القرن التاسع عشر وبلغ أوجه في القرن العشرين، لما أحس اللسانيون وأهل الاختصاص بالحاجة إلى تحسين نوعية التعليم¹⁹. وفي ظل العولمة، أصبحت الحاجة إلى تعلم لغة أجنبية ملحة، إذ لا يمكن تجاهل العلاقات التي تربط بين الأمم في ميادين عدة كالتجارة والسياحة والعلوم والتكنولوجيا الخ. ومن هذا المنطلق تسعى العديد من البلدان لتطوير سياساتها التربوية لتطوير اللغات الأجنبية وبالدرجة الأولى اللغة الإنجليزية. ومن جهة أخرى، جعلت بلدان مثل سنغافورة وماليزيا والفلبين من الإنجليزية لغتها الرسمية الثانية.

ولتسهيل أمر الحوار بين الثقافات لا بد من وجود وسائل وقنوات وطرق تفتح باب الحوار وتحقق هدفه ومن هذه القنوات أيضا تدريس اللغات الأجنبية، وهي وسيلة هامة للحوار والتواصل الثقافي في حقول البحث المختلفة. واللغة تساعد على فهم ثقافة الآخر والمحاورة معه. فاللغة عامل هام للتقارب بين الشعوب، فهي حاضنة للثقافة، ووسيلة للتأثير في العقل والشعور، وأداة للفهم والتعبير ووعاء العلوم. فاللغة هي مفتاح الثقافة وتعارف الأمم وإدراكها لحضارات الشعوب الأخرى وثقافتها وطرق تفكيرها. وتعلم اللغة يأتي دور الترجمة، باعتبارها وسيطا ثقافيا للتواصل الثقافي وإثراء الثقافات.

IX)- الترجمة و التفاعل الثقافي بين الشرق و الغرب: لقد عملت كل الأمم جميعا، منذ القدم على التواصل مع الآخر، للاستفادة من علومه ومعارفه، مما ساهم في تقدم البشرية وتطورها. وهذا التواصل لا يمكن أن يكون أحادي الاتجاه من أمة إلى أمة أخرى، بل هو متعدد الاتجاهات يشكل شبكة معرفية بين الأمم وينتج عنها تأثير وتأثير بين المجتمعات.

وقد لعبت الترجمة وما تزال دورا عظيما في حوار الثقافات والحضارات وتلاقحها. وهي عامل رئيس لنهوض الحضارات. فبواسطتها يطلع الناس في بلدانهم الأصلية على حياة البلدان الأخرى، وتاريخها، وحضارتها وحصيلتها من المعارف والعلوم والفكر. فتنتقل هذه العلوم والمعارف من بلد إلى آخر ومن ثقافة إلى أخرى، ويحدث حوار تفهم من خلاله ثقافة ما ثقافة أخرى، فيحدث التبادل والاعتناء ويتم النهوض والتطور، وقد يجلب هذا تفاهم شعوب الحضارتين، فيحدث الوئام والسلام، ويعد شر الانعزال والتعصب والحرب.

كما تستمد حركة الترجمة أهميتها من القرآن الكريم، ذلك لأن الناس خلقوا مختلفين في الأجناس، والشعوب والقبائل، واللغات والعادات وغيرها، مصداقا لقوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ" (سورة الروم الآية 21) وقد صارت الشعوب بحاجة للتعارف والتفاهم والاستفادة فيما بينها، مصداقا لقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (سورة الحجرات الآية 13). ونحن كمسلمين حاملين رسالة عالمية للناس كافة، مطالبين بنقل هذه الرسالة إلى كل شعوب العالم. ومن هنا صارت عملية إتقان لغاتهم للتواصل معهم وسيلة ضرورية لتحقيق هذا الهدف، بالإضافة إلى ترجمة كتب الفقه والتفسير وبعض الفنون الأدبية التي تبين حقيقتنا الحضارية البعيدة كل البعد عن التعصب والإرهاب، والمتميزة بالانفتاح والتسامح.

فالترجمة قدر مشترك بين كل الحضارات والأمم، ولا توجد أمة ولا حضارة لم تأخذ عن غيرها. ولم تتخلف الحضارة العربية عن هذا الدور، فحفظت تراث الإنسانية كلها وزادت عليه ونقلته إلى من تلاها. ومن طلب إليها ألا تورث الناس إلا شيئاً جديداً من ابتداعها فقد طلب إليها ما يناقض الحضارة في فضيلتها الكبرى، وهي فضيلة السماحة والحرص على تراث بني إنسان²⁰. لقد كانت الترجمة دائماً جسراً للتواصل بين الشعوب والحضارات على مر التاريخ، تعزز التلاقي والتلاقح الحضاريين، وترعى التقارب الثقافي بين الشعوب، وتدحض الصدام، وتدعم الحوار والتبادل الثقافي بين أمم الأرض، وتسهل التواصل بين الأمم وتفتح النوافذ على الثقافات الأخرى للشعوب الأخرى ما دامت معرفة الآخر تقود تدريجياً إلى معرفة الذات عن طريق "المقارنة" و"التواصل". كما كانت تغني اللغات وتجعلها "حية" على الدوام، وتوفر الأرضية للبحث والإبداع ليقف عليها أهل البحث العلمي والإبداع قبل الشروع في أبحاثهم أو بناء نظرياتهم أو نشر إبداعاتهم.

فقد ترجم اليونانيون كنوز العلم والتنجيم والفن والرياضيات عن حضارات قديمة جاورتهم كالحضارة الفارسية والمصرية القديمة، كما انتعشت الثقافة العربية الإسلامية بفضل الدماء الجديدة التي جرت في شرايينها من خلال ترجمة التراث الهندي والفارسي واليوناني القديم، كما انتعشت أوروبا في القرن الخامس عشر مباشرة بعد ترجمة التراث الأندلسي الوافد من الغرب الإسلامي وكنوز المعرفة الوافدة من بيزنطة الآفلة. والترجمة هي الطريق نفسها التي مرت منها اليابان التي بعثت أواخر القرن التاسع عشر بعثات طلابية إلى أوروبا واكتبت حركة ترجمة لنفائس الإنتاج الفكري والعلمي الأوروبي. والترجمة وسيلة تواصل بين الشعوب من خلال المساهمة في ترويج الفكر الإنساني عبر نقله إلى لغات غير لغته. كما أنها عامل إنقاذ للثقافة من الغرق، والحرق، والإتلاف، والضياع، والتهميش، والإقصاء لاحتوائها على بنوك المعرفة الإنسانية والتاريخ الثقافي. فلولا الترجمة العبرية لأعمال الفيلسوف العربي ابن رشد، لضاعت "الفلسفة الرشدية" إلى الأبد. ولا تزال حركة الترجمة وسيلة فعالة لمعرفة الآخر، التي هي في حد ذاتها محاولة لمعرفة الذات وتنوير ما بها من مناطق معتمة تتضح عن طريق المحاورة.

الخاتمة : وخلاصة القول تبقى عملية الترجمة عملية لا غنى عنها، فهي الجسر الذي يربط بين الشعوب والمحرك الأساسي للتفاعل بين الثقافات، وتعمل على تطور ونمو وتبادل الأفكار والإنجازات. وبهذا لا يمكن أن يتحقق أي حوار أو تبادل ثقافي بدون وجود حركة ترجمة جادة وفعالة. فنحن أحوج إلى تفعيل عملية الترجمة التي أصبحت تشكل الركيزة الأساسية للحوار

الثقافي، ولاسيما أننا نواكب عصر العولمة، ولا يمكننا أن نبقي مهمشين، بل علينا إحياء الترجمة كما كانت عليه أو أكثر لأنها السبيل الوحيد والطريقة المثلى لصناعة الشعوب.

هوامش البحث:

- ¹ لسان العرب للعلامة ابن منظور، المجلد الثاني، دار الجيل بيروت، دار لسان العرب بيروت، 1988، ص316
- ² المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثانية، 2001
- ³ سعيدة كيجل، تعليمية الترجمة دراسة تحليلية تطبيقية، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص21
- ⁴ د : لبانة مشوح "الترجمة و التنمية الفكرية-القطاع الاداري نموذجاً"، مجلة جامعة دمشق، المجلد27، العدد3.4، 2001 ص786
- ⁵ -www.doroob.com
- ⁶ ابراهيم فاضل خليل: خالد بن يزيد سيرته و اهتماماته العلمية "دراسة في العلوم عند العرب" دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984 ص 187
- ⁷ عبد الحكيم العبد "حركة الترجمة الحديثة" اتجاهاتها و معطياتها في الادب و مناهج البحث، 1997، ص 06.
- ⁸ محمد ديداوي "الترجمة و التواصل" دراسات تحليلية عملية لاشكالية الاصطلاح و دور المترجم، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2000 ص83
- ⁹ بسمة احمد صدقي الدجاني "دور الترجمة في حوار الحضارات" تجارب رائدة تركت أثراً في المجتمع التلقائي، ص 146
- ¹⁰ فروخ عمر "تاريخ العلوم عند العرب"، دار العلم للملايين ص 112.
- ¹¹ ابن نديم، ابو الفرج بن يعقوب اسحق "الفهرست" تحقيق رضا تجدد، حقوق الطبع للمحقق ص 303.
- ¹² <http://scholar.najah.edu/sites/default/files/conference-paper/translation-abbasid-age.pdf>
- ¹³ محمد الديدواوي "الترجمة و التواصل" ، ص80
- ¹⁴ محمد عباس، ترجمة المعارف العربية و أثرها في الحضارة الغربية، مجلة الآداب، عدد6/5 بيروت، 1991، ص 53 .
- ¹⁵ -Mohammed ABBASSA : Traduction des connaissances arabes, in comparaison, N°13 ; université d'Athéne, p50
- ¹⁶ - E.B.Taylor, Primitive culture(1871), cité par : Parrineau Pascal, op.cit, pp946
- ¹⁷ -C.Levi Strauss, « Introduction à l'œuvre de M.Mauss, » in : M.Mauss, sociologie et Anthropologie Structurale(Paris : Plon, 1958) p78
- ¹⁸ عمر بيشو "النظر الكفائي المقاصدي و دوره في تعزيز قيم الحوار الثقافي و الحضاري" مؤسسة دراسات و أبحاث، مؤمنون بلا حدود ص 7.
- ¹⁹ -Jach C. Richard, Theodore Stephane Rodgers : Approaches and Methods in language teaching, Cambridge UK, Cambridge University Press, 2 nd edition, 2001, p18 .
- ²⁰ عباس محمود العقاد، اثر العرب في الحضارة الاوروربية، دار نضرة مصر للطباعة و النشر، 1998، ص 32